

مواصفات السعداء الذين لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس الحلقة 3

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، أما بعد: أخي المسلم أختي المسلمة: نعيش للمرة الثالثة مع ذكر مواصفات السعداء الذين لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس، جعلني الله وإياكم منهم... انطلاقاً من الحديث الشريف الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّتَا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبْتُهُ امْرَأَةٌ ذَاتَ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ نِسْمَالُهُ مَا تُنْفِقُ بِيَمِينِهِ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ؛ فهم سبعة أصناف وليسوا سبعة أفراد؛ وينبغي على المؤمن أن يحرص كل الحرص على أن تكون فيه هذه الصفات الحميدة من هذه الصفات السبعة.

وإذا لم تكن فيه كاملة، على الأقل تكون فيه صفتان أو ثلاث والأفضل كلها، ذكرنا بالأمس الصنف الثالث والرابع.

أخي المسلم أختي المسلمة:

نحن اليوم بمشيئة الله وتوفيق منه سبحانه وتعالى مع الصنف الخامس والسادس والسابع.

الصنف الخامس: رجل دَعَتْهُ امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين: هذه هي العفة وهذا هو الطهر والنقاء، يعني ممن يظلمهم الله بظلمه يوم لا ظل إلا ظله: رجل دَعَتْهُ امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، يعني يستحضر هيبة الله ويستحضر مخافته، يخشى الله في السر والعلن.

الصنف الخامس ممن يظلمهم الله بظلمه يوم لا ظل إلا ظله رجل دَعَتْهُ امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين، عزيمة قوية وثقة في موعود الله لا تتزعزع أمام أشد الفتن، علم هذا الرجل أن الله معه فاستحى أن يبارزه بالمعصية، وعلم أن الآخرة خير من الأولى فاختر الحور العين على نساء الدنيا.

هذا رجل اجتمعت فيه خصال ذكرها الله في كتابه في قصة نبيه يوسف عليه السلام، فقد قال عليه السلام حين دَعَتْهُ امرأة العزيز إلى الفاحشة: قال لها معاذ الله إنَّه رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ.

إنها امرأة عزيز مصر، وليست من رعا ع الناس، وهي ذات جمال، ولها صولة وقدر، ولكن صولة الله في قلوب الصالحين أقوى وعذابه أشد، لهذا فهم أبعد الناس عن معاصيه وأصبر الناس على الفتن ممَّا اشتدت، كذلك هذا الرجل فالمرأة التي دَعَتْهُ ذات منصب وذات جمال، فالأمر مغري من الناحيتين، فهي ليست من الفقراء أو من عامة الناس، بل هي من علية القوم الذين يجب كل الناس التقرب إليهم، وهي ليست قبيحة ترغب عنها النفوس، بل هي جميلة، كما أنها هي المبادرة بالدعوة إلى الفاحشة، ومع هذا قال هذا الرجل بلسان المؤمن القوي الذي لا يقيس الذنوب بميزان البشر ميزان الشهوة العاجلة، بل يقيسها بميزان الله سبحانه، ويعلم أنها شهوة تزول وتبقى غصتها ما دامت الدنيا، ويصلى عذابها يوم القيامة، قال قولته التي سدت على هذه المرأة كل منفذ وأيسرتها منه: إني أخاف الله رب العالمين، فمتى تصفو منا النفوس؟! ومتى ترق منا الأفئدة وتحشع القلوب؟! متى نتوجه إلى الله بإخلاص، ونقف بين يديه خائفين منكسرين نادمين على ما بدر منا، طالبين عفوه ورحمته؟!!

رجل دَعَتْهُ امرأة ذات منصب وجمال، هي التي دَعَتْهُ ذات منصب وجمال، ومع تلك الإغراءات تَذَكَّرُ أن الله يراه، تَذَكَّرُ أن الله رقيبهِ، تَذَكَّرُ أن هذا فعل شائن وعمل مشين، ومن فعل السافلين المنحطين، فقال: إني أخاف الله رب العالمين، حَجَّرَهُ خَوْفُهُ، مَنَعَهُ خَوْفُهُ من الله أن يقع رَغْمَ المغريات والدواعي، رجل دَعَتْهُ امرأة إلى نفسها، فكان رجلاً فعلاً، فكيف بمن يذهبون بأرجلهم إلى الحرام؟ يسافرون ويخزجون ويدفعون الأموال حتى يَصِلُوا إلى الحرام، ونشوا الرجولة ونشوا الواحد القهار، نشوا أنه معهم بعلمه يراهم ويراقبهم، نسوا أن لهم بيوتاً وأعراضاً سيكون القضاء فيهم ولو بعد حين، حانا الله وإياكم من فعل الفاحشة، قال صلى الله عليه وسلم: مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ؛ صحيح البخاري، والله يقول قبل ذلك: وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوحِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ.....

الصف السادس من هؤلاء السعداء: رجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه: تحابا في الله، تجمعهما المحبة في الله، ويتفرقون وهم كذلك، يجتمعون وهم متحابون في الله، ويتفرقون وهم متحابون في الله، إذا اجتمعوا اجتمعوا على الطاعة، وعلى الخير، وعلى البر، وعلى قول المعروف، لا غيبة ولا نمية، ولا معصية، ولا فتنة ولا غدر، ولا مخدرات ولا قنوات ولا مواقع؛ ولا مسرحيات، ولا مسلسلات إنما اجتمعوا على طاعة الله ومحبة في الله، ويتفرقون وهم كذلك متحابون في الله، لا أحد يمكر بالآخر ولا يغتابه ولا يغدر به ولا يغشه، لا يتكلم في قفاه ولا يئم عليه، يحفظ مودته وصدافته وكأنه حاضر معه، قال صلى الله عليه وسلم: إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَغِطُّهُمْ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، قالوا: يا رسول الله، نُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ؟ قال: هم قومٌ تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لتنور، وإتاهم على نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس، وقرأ هذه الآية: أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [صحيح أبي داود]

من هؤلاء السعداء: فرجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وافترقا عليه، هذان رجلان لم تجمعهما مصالح الدنيا ومكاسبها، ولم تجمعهما عصبية بغیضة أو تحزب ممقوت، إنما اجتمعا في طاعة الله وفيما يرضي الله، هذا سبب اجتماعهما، لهذا فإن الله سبحانه يجزيها خير الجزاء على هذا الحب فيه، ويجبها سبحانه ويثني عليها، أخرج مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: إن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله على مدرجته أي: على طريقه ملكاً، فلما أتى عليه قال الملك: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه نعمة تربها؟ - أي: هل تريد أن تحافظ على أمر دينوي بينك وبينه بهذه الزيارة - قال: لا، غير أنني أحببته في الله تعالى، قال لع الملك: أبشر فإن رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه.

هكذا يجزي الله الصادقين المحلصين الذين يجعلون مقياسهم في حب الناس وبغضهم خالصاً لله سبحانه، إذا والوا ففي الله، وإذا عادوا ففي الله، وهذا المقياس في الحب والبغض أوثق عرى الإيمان، إذا ضيعه المسلم أصيب بخلل في إيمانه، في الأثر: أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله عز وجل أخرجه الطبراني عن ابن عباس.

وسابع الأصناف: رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ففاضت عيناه بالدموع وليس معه أحد، هذا الرجل ممن قال الله فيهم: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، فهذا الذي ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، إنما نزلت هذه الدمعة الطاهرة من عينه لله لا لغيره، لأن هذا الرجل كان خالياً لوحده ما معه أحد، فهي دمعة مخلصه مخلصه ليس وراءها رياء ولا سمعة، وهكذا الصالحون الأوابون، يقول عنهم نبينا صلى الله عليه وسلم: كما في صحيح الجامع من حديث أنس: عينان لا تمسهما النار أبداً: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله أخرجه أحمد وفي رواية عين نضرت فغضت، ومما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَرْعِ [رواه الترمذي] وزاد بعضهم ومن عين لا تدمع.

دموع خشية الله التي مبعثها الخوف والصدق والإخلاص منجاة للعبد من عذاب الله وحجاب له من ناره.

هذا الشخص ذكر الله وتذكر عظمته وقوته، ورحمته وحكمته، وعدله وعلمه، قرأ كتابه وهو خالٍ ليس بجواره أحد يُرائيه فبكي، بل دامت عينه لما عرف من صفات العظيم سبحانه لقوله تعالى: وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ، ومن قال فيهم ربنا: إِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا، اللهم أظلمنا بظلمك يوم لا ظلَّ إلا ظلك، اللهم ارزقنا خشيتك في الغيب والشهادة، وأجزنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، نعوذ بك من شر أنفسنا وشر الشيطان وشركه.